

الموضوع: الفرح الحقيقي

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة . ويسرني في بداية هذا اللقاء أن أطرح التساؤلات التالية : لماذا يفرح الإنسان ؟ وما هو مصدر الفرح الحقيقي ؟ وكيف يمكن للإنسان أن يحصل عليه ؟

بالطبع هناك أمور كثيرة تجعل الإنسان يفرح . فعندما ينجح الطالب بتفوق في الامتحان يفرح ، و عندما يربح الإنسان مبلغا كبيرا من المال يفرح . و يفرح المرء عندما يحصل على وظيفة جديدة، أو عندما يترقى في عمله . وتفرح العائلة عندما يولد لها طفل جديد . ويفرح الشاب عندما يتزوج من الفتاة التي أحبها . وكذلك تفرح الفتاة عند زواجها من الشاب الذي تحبه . ونفرح عندما ننقل إلى بيت جديد أو مدينة جديدة . وكذلك نفرح عندما نشترى أي شيء جديد ، كالملابس وأثاث البيت . أو عندما نشترى سيارة جديدة ، أو بيت جديد . وجميعنا نفرح في المناسبات السعيدة ، وعند لقاء صديق أو قريب لم نره منذ زمن بعيد . لكن نلاحظ مستمعي أن كل أسباب الفرح هذه ، هي أسباب خارجية . أي أننا نفرح لأننا حصلنا على أمر معين ، أو لأننا مررنا بمناسبة سعيدة . فالفرح هنا سببه خارجي ، أي مصدره خارجي . ولهذا كان هذا الفرح هو فرح مؤقت . فعندما نعتاد على الأمر الذي حصلنا عليه ، يزول الفرح . وعندما تمضي المناسبة السعيدة التي فرحنا بها ، يزول فرحنا ، ونعود إلى حياتنا اليومية المعتادة . فبما أن هذا الفرح هو فرح مؤقت ، يجدر بنا أن نطرح التساؤلات التالية : هل هناك فرح حقيقي ومستمر ؟ وما هو مصدره ؟ وهل بإمكان الإنسان الحصول عليه ؟ وكيف ؟

للإجابة عن هذه التساؤلات ، لا بد لنا أن نعود إلى كلمة الله الحية كما جاءت في الكتاب المقدس . فنلاحظ أن كلمة الله تحدثنا عن فرح حقيقي يملئ قلب الإنسان ، وبالشكل مستمر ، وبالرغم من الظروف المحيطة به . وها هو الرسول بطرس يكتب إلى المؤمنين المتألمين في المسيح قائلا : " الذي - أي المسيح - وإن لم تروه تحبوناه . ذلك وإن كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لا ينطق به ومجيد . " (ابط ١: ٨) فكيف يمكن للإنسان أن يفرح حتى في وسط الآلام والظروف الصعبة ؟ إن الإجابة عن هذا السؤال لا بد أن تقودنا ، لكي نبحث عن مصدر هذا الفرح الدائم المستمر ، الذي لا يتأثر بالظروف المحيطة .

كان الفرح دائما مرتبط بمجيء المخلص المسيح إلى عالمنا . ولهذا دعا الأنبياء قديما الشعب لكي

يفرح عند مجيء المسيح . وعند ولادة الطفل يسوع المسيح ظهر للملاك للرعاة ، وأخبرهم قائلا:

"ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب . أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب . " (لوقا ١٠:١ و ١١) إذن إن مصدر الفرح هو المخلص المسيح الرب ، والخلص الذي يهبه للإنسان . إن المخلص المسيح هو مصدر الفرح ، لأنه يهب الإنسان الخلاص . الخلاص من عبودية الخطية ، وكل نتائجها المدمرة على حياة الإنسان . لهذا لم يكن غريبا أن تعني كلمة الإنجيل الأخبار المفرحة ، أو البشارة السارة . فما هي هذه الأخبار المفرحة ؟ أن المخلص المسيح قد أتى إلى عالمنا ، وأخذ العقاب نيابة عنا بموته الكفاري على الصليب . وأن إيماننا به سيهبنا الغفران الكامل عن خطايانا ، ويدخلنا إلى دار النعيم حيث نعيش إلى الأبد . فهل هناك خبر مفرح أعظم من هذا الخبر ؟ لهذا نجد أن الإنسان يفرح فرحا عظيما عندما يختبر خلاص الله المجيد في حياته . لكن قد يتساءل أحدهم : ما هو الدليل أن هذا الخلاص هو حقا مفرح إلى هذا الحد ؟

عندما تحدث المخلص المسيح إلى الجموع ، عن أمثال ملكوت الله ، شبّه المسيح ملكوت السموات بكنز مخفي وجده إنسان في حقل فأخفاه . ومن فرحه مضى وباع وكل ما كان له واشترى ذلك الحقل . إن ملكوت الله أي خلاص الله المجيد ، هو هذا الكنز الثمين جدا والذي لا يقدر بثمن ، والذي لا يقارن بأي كنز أو أي شيء آخر . إنه كنز الغفران الكامل ، كنز الحياة الجديدة ، كنز الحياة الأبدية . ولهذا قال المسيح أن الإنسان يفرح عندما يجد هذا الكنز الثمين جدا . الأمر الذي نلاحظه فعلا في كل شخص يختبر خلاص الله ، إذ يملأ الفرح قلبه وكيانه . ولن يكون باستطاعته إخفائه عن الآخرين ، لأن الفرح يشع من وجهه .

عاد التلاميذ مرة من جولة تبشيرية فرحين ، وقالوا للمسيح : يارب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك . فأجابهم المسيح قائلا : " لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم بل افرحوا أن أسماءكم قد كتبت في السموات . " (لوقا ١٠:٢٠) أجل ، إن المؤمن يفرح لأن اسمه قد كتّب في سفر الحياة في السموات ، أي كتّب في سفر الخلود . وهل هناك أعظم من هذا الفرح أن يتأكد الإنسان أنه سيعيش إلى الأبد مع المسيح مخلصه والله خالقه ؟

ذكرنا قبل قليل أن الفرح العادي أسبابه خارجية ، وهو فرح مؤقت يزول مع مرور الأيام . لكن الفرح الذي يهبنا إياه المخلص المسيح عن طريق خلاصه المجيد ، هو فرح دائم . فكيف بإمكان هذا الفرح أن يستمر يا ترى ؟ للإجابة عن هذا السؤال نقول : إن هذا الفرح يستمر ، لأنه فرح روحي ينبع من داخل الإنسان ، بواسطة روح الله القدوس الذي يسكن فيه . ولهذا قال المخلص المسيح للمرأة السامرية التي تحدث معها عند بئر للماء : " كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا . ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد . بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية . " فماذا قصد المسيح بهذا الكلام ؟ (يوحنا ٤:١٣ و ١٤)

إن الماء الذي أشار إليه المخلص المسيح هنا ليس ماء الشرب العادي . لكنه قصد به ماء العالم المادي ، أي ماء ملذات العالم وشهواته وأموره الفانية ، التي قد تجلب فرحا مؤقتا للإنسان ، والذي يبقى في عطش دائم له. بينما الماء الذي يعطيه المخلص المسيح ، هو ماء الخلاص ، الذي إن شربه أحد ، فلن يعطش إلى الأبد . لأن هذا الماء مصدره روح الله القدوس الذي يحل في قلب الإنسان ، ويتحول إلى نبع دافق مستمر ، يبقى إلى الأبد . لهذا نقول إن الفرح الذي يختبره الإنسان عند حصوله على خلاص الله ، لن يكون فرحا مؤقتا ، بل هو فرح دائم ويستمر إلى الأبد. فهل هناك أعظم من إختبار خلاص الله المجيد وفرحه الدائم؟

لعل السؤال الآن : هل من الممكن أن يستمر هذا الفرح في وسط الظروف الصعبة ، وبالرغم من الآلام التي قد يواجهها الإنسان المؤمن ؟ إنه حقا سؤال مهم . كما لاحظنا فإن مصدر الفرح هو المخلص المسيح ، والخلاص الذي يمنحه للإنسان . أي أن هذا الفرح مرتبط بالمخلص المسيح نفسه ، ولا علاقة له بالظروف التي تحيط بالإنسان ، وهو فرح روحي ينبع من داخل الإنسان .

ولهذا قال الرسول بطرس للمؤمنين المتألمين والذين كانوا يواجهون الاضطهاد : " الذي - أي المسيح - وإن لم تروه تحبونه . ذلك وإن كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لا ينطق به ومجيد . " (ابط ١: ٨) أي أراد الرسول بطرس القول أن إيمانكم ورجائكم هما في المخلص المسيح ، الذي هو أمس واليوم وإلى الأبد، وهو الذي لا يتبدل ولا يتغير . ولهذا عليكم أن لا تنظروا إلى التجارب الصعبة المحيطة بكم ، بل أن تثقوا بالمسيح . وعندما يضع المؤمن بالمسيح كل رجائه عليه ، فلا بد أن يفرح ويبتهج ، بالرغم من كل الظروف المؤلمة التي يمر بها. إن الفرح المسيحي إذن هو فرح دائم ، ينبع من داخل الإنسان ، ولا يتأثر بالظروف المحيطة.

نأتي الآن إلى التساؤل الأخير الذي طرحناه في بداية هذا اللقاء وهو : كيف بإمكان الإنسان الحصول على هذا الفرح ؟ والجواب واضح : عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح ، وقبول عطية الخلاص التي يعرضها علينا . فهل أنت على استعداد مستمعي الكريم ، لكي تتوب عن ذنوبك ، وتؤمن بالمخلص المسيح وعمله الكفاري من أجلك على الصليب ؟ أرجو أن تكون كذلك. وهكذا تختبر خلاص الله ، والفرح الحقيقي الدائم إلى الأبد .